# الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ رأس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة




# ليلة الزفاف

قصة بقلم اديب نحوي

أم العريس :

يا ابني ، الله يرضى عليك ، متى تتزوج ؟ الكتاب كتبناه ، ومد الصدر والجنب : أنهيناه . عشرون رطلا من القطن وما كفتنا ، فاخرجت زيادة عليها من فراشي رطلين اثنين ، حتى حشونا بها المخدات كرامة لعينيك . وحتى موعد العرس عددناه : مساء الخميس ، قبل شهر من هذا اليوم وأسبوع ، فهل نسيت ؟ واشترينا لك من سوق العطارين الة الخزانة : قرص السكر الابيض والجوز واللوز والفستق من احسن الاصناف . واستأجرنا التخت والكراسي ، واتفقنا مع الخوجه والرقاصات . قالوا لي : يكفي عرس بالاقارب والجيران والاحباب ،دون خوجة تغني او رقاصات ترقص ، فقلت : لا والله العظيم . هذه مئة ليرة سورية ، ادخرتها طيلة حياتي من الفرنك والفرنكين ، خذوها فانا لا اكلفكم من أجل العرس أي قرش ، لكني لا ارضى الا ان يتزوج ابني بزفة تغني فيها الخوجة ، وترقص فيها الرقاصات ، بعرس يشتغل فيه ضرب الصناجات ، فهل لانه يتيم ، ومات ابوه من عشر سنين ، يتزوج.. طم غم .. بدون زفة ولا خوجة ولا رقاصات ؟ فلما تشاجرت مع الشرطة مساء ذلك الخميس ، في ليلة العرس ذاتها ، واخذوك الى الحبس ، وأتت أم العروس بعد أذان العشاء بساعتين وسألتني : يا ام احمد ،لماذا تأخرتم في الحضور لاخذ العروس ؟ يا سواد الوجه !! بم كنت أقدر ان أجيب ؟ فلا انا عرفت ، ولا أي واحد من اهل الحارة كان يعرف : ماذا جرى لك . انما كنا نعرف انك خرجت بعد صلاة العصر من الحارة، فاذن العشاء ومضت ساعة ، ثم ساعتان دون أن تعود . يا الله ، كيف العمل ؟ واخذت ابكي ، لا بد انه قد وقع لابني شيء ، لا بد . واخذت ابكي : فنحن لم نكن نعرف في تلك الليلة أنك كنت في باب الفرا وتشاجرت مع الشرطة ، واخذوك من هناك الى الحبس . فجلسنا نبكي جميعا : انا وعمتك واخواتك . ألغينا العرس واغلقنا الابواب على انفسنا ، وبقينا طيلة تلك الليلة ، الله لا يعيدها على مخلوق يوحده ، ونحن نبكي ونصيح : انقلب الفرح الى عزاء . طول عمرك يا ابني ما تشاجرت مع احد او دخلت الى السجن مرة واحدة ، فماذا جرى لك ، حتى تشاجرت مع الشرطة في باب الفرج ليلة زفافك ؟

— . —

الله يرضى عليك . الحبس يا أبني وانتهى ، وانني احمد الله واشكره من اجل ذلك ليل نهار ، وارفع يدي الى السماء : احمدك يا ربي واشكرك انك اخرجت لي ابني من السجن ، الف الف مرة . فمتى يا أبني نعود وندعو الناس لفرحك ونعمل العرس ؟ ونقيم الحفلة في اوسع بيوت الحارة . في بيت جارنا الحاج بشير ناعورة ، فننصب هناك التخت في صدر ارض الدار ونصف الكراسي ، وتحضر النسوان: كل واحدة وهي ترتدي احسن ثوب عندها ، فتقبلني من خدي . وتقول لي : يهنيك يا أم العريس ، والخوجة فوق التخت تدق على العود وتغني ، واخواتك السبع المتزوجات جميعهن واقفات حولي ... ما شاء الله كان ، ترد العين : فواحدة تهنهن : الله ساوى .. وبنات ترد عليها بالزغاريد : لي لي ليش . وتصيح البنات : النذر يا ام احمد ، النذر . نذر علي من زمان يا ابني لجميع القريبات والجارات ان اقف مع الصبايا

ليلة عرسك ، وارقص . فلما انهض وانا خجلانة : يا عيب الشوم فانا امرأة عجوز ! واشبك يدي بايدي البنات ونفقش باصابعنا ونرقص ! فالخوجة عند ذلك تدق من فوق التخت : سلام لام العريس بينما الرفاصة تتمايل الى جانبها وتضرب بالصناجات : جاق جاق جاق ،بينما البنات يضعن لها في فمها ثلاث ملبسات ، ويشكلن لها على صدرها بالدبوس ورقة ام الخمسين ، لكن امام الناس ، فنسترد منها بعد ذلك ونعطيها بدلا منها خمس ليرات .

متى يا ابني افرح بك ، واراك داخلا ليلة العرس بعد ان يوصلك الرجال الى باب دار الحاج بشير ناعورة ، فتدخل وانت لابس قنباز الحرير الابيض ، وتلف عليه الشال العجمي ، وفوقه الجاكيت الاسود ، وتشتغل الزفة : عريسنا الاسمر .. حلو وصغير .. اسم الله عليه،واناه والدنيا لا تسعني من الفرح احس كأن قلعة حلب صارت كلها ملكي ، وقد اخذني الحال ، واهنهن وازغرد . بينما الصبايا يتهامسن : ما احلاه ، اسمر لكن حلو .. وعيونه سود وحلوة ، يا الله على عيونه ما احلاها.! الله يخليه لامه ، خزيت العين عنه ... اه وانت تنحني لما تصل لعندي بين صفين من النسوان ، واقبلك على خديك ، وابكي : ايهي ايهي ايهي، ويحين عند ذلك وقت وضع اليد باليد ، فآخذ يدك واضعها في يد العروس . ليت الله مد في عمر ابيك عشر سنين اخرى حتى يفرح معي بهذه الليلة ، يا ليت .

والد العروس :

يا أم محمد : انت ام العروس فمن غيرك يذهب لعند اهل العريس ويسألهم متى تكون ليلة الزفاف . ؟ عريس ابنتك عيوش ، احمد بن حسن بطل ، يتيم ، وليس له اب ، ووحيد في عائلته وليس له عم او اخ كبير او خال حتى اذهب انا الى واحد منهم ، واسأله هذا السؤال . وانا لا يمكنني ان اتكلم معه بالذات في هذه المسألة ، عيب ان يفاتح والد العروس صهره في هذه المسألة . ولا يمكنني ايضا ان اتكلم مع النسوان ، انا رجل ، ولا اتكلم الا مع رجل . وما دام ليس للعريس سوى امه واخواته وعمته ، وهن جميعا من صنف الحريم ، فاذهبي انت واسألي امه : الى متى ، وكم ننتظر ؟ فبأي وجه اقابل انا اهل الحارة يا ام محمد؟ لانهم وان كانوا لا يحكون امامي ، الا انهم لا بد قد اخذوا يتكلمون فيما بينهم : هل ان احمد بن حسن بطل لم يعد راغبا في البنت ، وقلب ؟ العرس كان مساء الخميس قبل شهر وجمعه ، والشرطة ليلتها امسكوا بالعريس في باب الفرج . فماذا كان يفعل هناك ؟ وهو في ليلة زفافه ، ماذا كان يفعل ؟ وكيف تشاجر مع الشرطة ، كيف ، فلا بد انه كان قد ذهب الى خمارة عبود قجقجي في بستان كل آب ، وظل يشرب مئة درهم من العرق مقدار ساعة ، ليودع حياة الجهل بمناسبة زواجه وبعد ذلك يتوب ، كما كان الواحد منا يفعل ايام الشباب . لكننا نحن كنا عقلاء ، كنا اذا سكر الواحد منا وخرج من خمارة عبود قجقجي في بستان كل آب الى ساحة باب الفرج ، فانه يتشاجر مع كل واحد يراه في وجهه ، ونسحب الخناجر وكل واحد يصيح : دوه انا ابو حمدو راعي الحصان، او انا ابو علي شيخ الشباب . لكن هل كنا نتشاجر مع الشرطة ..! ابدا ، فالمجنون وحده هو الذي يفعل ذلك ، خصوصا اذا كان ذلك في ليلة زفافه . لانه اذا تشاجر مع الشرطة فلا بد ان يأخذوه الى النظارة، واذا الواحد بات ليلة زفافه في نظارة باب الفرج ، فكيف ، كيف يمكنه ان يتزوج ؟ . يا الله ، خير على كل حال . احمد بن حسن بطل ، لا بد انه سكر ليلة العرس ، والشرطة حبسوه شهرا بكامله : ما عليه شيء ، الحبس للرجال : فانا دخلته عشر مرات في ايام شبابي ، وسكرت مئة مرة واكثر ، الله يعفو عنا . لكن الحبس وخلص ، والعريس وقد خرج من السجن ، فان عليه ان يقول لنا ، نعم يجب ان يقول لنا : متى تكون ليلة العرس يا ام محمد ، ام هو لم يعد راغبا في الزواج من بنتنا ، وقد قلب ؟

ام العروس :

يا ام احمد .

ابنك احمد صار صهرنا بشرع وسنة رسوله . الكتاب كتبناه يا ام احمد بعد ان قعدنا نختلف على المهر مدة شهرين : فانت لا تدفعين سوى خمسمئة وابوها لا يرضى الا بالالف . مدة شهرين وقد نشفت عيوننا : حتى رضينا معكم على سبعمئة ، بينما بيت بلبل يدفعون لنا الفين ، ولو اردنا ثلاثة الاف ، لاخذناها بتمامها . فنحن فضلنا ابنك احمد على ابن البلبل ، لان زوجك رحمة الله عليه حسن بطل ، كان صديقا لزوجي من الروح للروح . وزوجي ابو محمد ظل يقول : احمد بن حسن بطل مثل ابني وانا لا ازوج بنتي عيوش لغيره . فانت تعلمين يا ام احمد : ان بنتي عيوش هي احلى بنات الحارة . بيضاء ، وعيونها زرق سبحان من خلق . وشعرها اشقر مثل قصاصات الذهب ، وعنقها مثل عنق الغزال ، وفمها بقدر حبة الفستق الحلبي ، وعمرها سبعة عشر عاما لكنها اطول مني بشبرين وفتر . هل تذكرين يا ام احمد : كم واحدا خطبها من ابيها .. ؟ عشرة ، عشرين ، والله العظيم واكثر . لان بنتي لا توجد بنت احلى منها في كل الحارة . فاننا رفضنا : لا نزوجها الا لاحمد بن حسن بطل . قسمة ونصيب .. واذا كانت ارادة الله ان لا تتزوج عيوش من ابن البلبل ، بل من احمد بن حسن بطل ، فهل نحن نقدر على تغيير ارادة الله ؟ حاشا وكلا : لا يمكن ابدا . قسمة ونصيب.

فيا ام احمد : الذي وقع ليلة الزفاف الماضية ، وقع ، وانتهى ، وسبحانه تعالى اذا كتب الامر ، فلا بد ان يصير . لكن احمد خرج الان من السجن ، وقد مضى عليه اسبوع وهو في البيت ، وزوجي سألني : متى يأتون ويأخذون البنت يا حرمة ؟ فماذا اقول له ؟ ويسألني ايضا ، لا تؤاخذيني يا ام احمد : هل احمد بن حسن بطل ، قد قلب ؟ فانا قلت له : محال ، محال ان يكون احمد بن حسن بطل قد عدل عن الزواج بابنتنا وقلب . فماذا يريد ؟ فلو فتش بين الف بنت من بنات حارتنا ، فهو لا يقدر ان يجد واحدة بجمالها ، ابدا . وهو يعلم ، نعم ، ان احمد ابن حسن بطل يعلم ، ان اولاد الحارة جميعا يحسدونه لانه فاز بالزواج من عيوش ، التي كان كل واحد منهم يتمنى ان تكون زوجته . لكني : بيني وبينك يا ام احمد ، اريد ان اسألك ، ونحن اهل واحباب ،ان تقولي لي بصراحة : متى تكون ليلة الزفاف ؟ وهل ان هذا التأخير بعد خروج احمد من الحبس ، سببه : ان احمد لا سمح الله : قلب ؟


صدر حديثا :

عن دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

## الرأسمالية المعاصرة

تأليف جون ستراتشي

ترجمة عمر الديراوي

العروس :

يا بنت جيراننا ، يا سامية .

قولي لي : ماذا تحكي بنات الجيران عني ؟ دخيل النبي ان تقولي لي . انت يا سامية ، وانا ، عيوش ، صديقتان من وقت ان كنا بنتين صغيرتين ، والواحدة لا تخفي اي سر عن الاخرى مهما كان .ونحن تعاهدنا، انا وانت وحدنا ، لما تحب الواحدة منا ، الشاب ، ان تاتي وتحكي للاخرى عن السر ، ان الواحدة منا وهي تملأ سطل الماء من حنفية الحارة ، اذا رأت شابا ينظر اليها ، وهو متلهف على رؤية وجهها من تحت الحجاب، ان تاتي وتحكي لصاحبتها . فاذا اعجبها هذا الشاب ، وكان وجهه حلوا وعيناه كبيرتين ، وينظر اليها كل مرة بلهفة فكأنه مشتاق لها ولم يشاهدها من سبع سنين ، ان تاتي وتقول لصاحبتها : انها وقعت في الحب . الم نتفق انا وانت من زمان على ذلك ؟ فقولي لي : ماذا تحكي بنات الجيران عني ، عندما تتقابلين معهن على الحنفية ، وانت تملئين سطل الماء مع اذان المغرب ؟ ماذا ، ؟! يقلن : ان احمد بن حسن بطل ، بعد ان كتبنا الكتاب وحددنا ليلة الزفاف ، خرج الان من السجن ، وقد قلب ! فهل انك انت التي تعرفين السر ، تصدقين هذا الكلام ؟! يا عيني على فهم تلك البنات ، يا عيني ! ام انه الحسد يا سامية ، الحسد !. ام انها الغيرة ، تأكل قلب كل واحدة منهن لان احمد تزوجني انا ، دون اي بنت اخرى ! فكل واحدة منهن تتمنى أن يكون قد خطبها احمد ، وتزوج منها. لانه احلى شاب في الحارة كلها : طويل واسمر وعيونه سود .يا روحي على عيونه : لما ينظر بها الى البنت ، فانها تدوخ وتكاد تقع على الارض. وانا حكيت لك يا سامية : منذ ان نظر الي وانا صبية أول مرة ، من ثلاث سنين ، انه هو الذي سحرني ، هو الذي فتنني ، فلم اعد اقدر ان انام الليل من طول ما افكر فيه . وصرت كل ليلة اقرأ اية الكرسي ثلاث مرات وانفخها من اجل أن الله يحميه . فهل انك صدقت ان ابي لم يزوجني من ابن البلبل رغم انه دفع المهر ثلاثة الاف مع سنارة من الذهب وحلق لولو ، وفضل احمد بن حسن بطل عليه ، لمجرد ان اباه المرحوم كان صديقه من الروح للروح ؟! لا ، ابدا .. يا سامية . الم احكي لك مئة مرة كيف انني صرت ابكي ليل نهار ، فلما سألتني امي عن السبب، اعلمتها : انكم اذا زوجتموني لشاب غير احمد بن حسن بطل ، فانني اشرب طعم الفار واسم نفسي واموت . فهذا الذي جعلهم ، يقبلون المهر منه سبعمئة ، بينما غيره يدفع بدلا من الالف ، ثلاثة . نعم ، انا احبه يا سامية ، من بعيد لبعيد . ووالله العظيم انا لم اتكلم معه ولا كلمة قبل ما كتب الكتاب ، ابدا . غير مرة واحدة هي تلك التي حكيت لك عنها ، اتذكرين ؟ تلك التي لما كنت عائدة لوحدي من الحنفية احمل سطل الماء بيدي ، و .. ونظرت اليه . اه يا سامية اه . فانني حكيت لك يومها كيف انه كان يبتسم وهو يمر من زقاق بيت السنبل ، ويحدق النظر الي ، بل حكيتها لك الف مرة ، فانني رفعت عيني ونظرت اليه .. اه يا سامية ، وكان وقت المغرب ونحن وحدنا في الزقاق ولا احد يرانا.والدنيا صيف ، وانا امسك ، فوقانية الملحفة باسناني ، فلما ابتسم ، وجدت نفسي دون أن ادري وانا ابتسم له . اه ، وافلتت اطراف الفوقانية من بين اسناني ، وظهر له عنقي واعلى صدري ، لا بد انه رأى عنقي واعلى صدري يومها ، لا بد . يا الله . فانا اضطربت كثيرا وكدت اقع على الارض ، انا دخت يا سامية ، والله العظيم ، دخت . اه يا سامية :فانا احبه ، احبه ، واموت في عينيه ، وهو يحبني ، ويحبني ، وقد لمح مرة عنقي واعلى صدري .. وابتسم . انه يحبني ، والا لماذا تزوج مني، وكان بامكانه ان يتزوج من بنت وجيه الحارة كلها ، الحاج خليل ، التي تعشق الارض تحت قدميه . فكيف يا سامية ، قولي لي : كيف ان احمد يتركني؟ وكيف تقول البنات من غيرتهن : انه بعد ان خرج من السجن ، قلب ؟! آه لو اسمع واحدة منهن تحكي ذلك امامي ، فاني أقطع شعرها بيدي.واقول لها : موتي من القهر يا بنت فان احمد يحبني ولا يتزوج اي واحدة من بنات الحارة سواي . لكنهن ، مسكينات ، بنات حارتنا ، لا يعرفن مثلك السر . لا يعرفن اننا : انا واحمد ، كل واحد منا يحب الاخر من بعيد لبعيد ، قبل كتب الكتاب بثلاث سنين .

ام العريس :

اليوم يا ابني ، انت ام محمد ، أم العروس . وسألتني : متى تكون ليلة الزفاف يا ام محمد ؟ فان زوجها يسألها كل يوم : متى يأتون ويأخذون البنت يا حرمه ؟ فبماذا اجيبها يا ابني ؟ واين اذهب بوجهي امام اهل عروسك ؟ وأبو محمد والد العروس قال لها : انك مساء ذلك الخميس تشاجرت مع الشرطة ، بعد ان شربت العرق في الخمارة ، فهل ذلك صحيح ، يا احمد ؟ قل لي يا ابني الله يرضى عليك : الى متى ننتظر ؟ انا وعمنك واخواتك واهل زوجتك . متى تتزوج وتدعني افرح بك ؟ وانا يا احمد امرأة على عتبة القبر فان لم امت اليوم ، ففدا اموت. وانت ابني الوحيد يا احمد ،عمرك عشرون سنة ، وقد كبرت وحان موعد زواجك بل وتأخرت عن الزواج مقدار سنتين . عمرك عشرون سنة يا احمد وفي موسم الشمش القادم يصير واحدا وعشرين . فكيف تتركني اموت قبل ان أكحل عيني بالنظر الى ابنك الاول : حسن . الى ابنك وهو ينام على يدي بعد أن الاعبه ، واقبله طيلة النهار ، فان بكى في الليل ، أظل أسهر الى جانبه حتى يعود الى النوم ، ولا انام الا اذا نام. متى يا احمد متى ؟ فهل قدر لي ان اموت قبل ان ارى اي شيء من ذلك؟ وانا ، هل تعلم يا احمد،انني ما زلت احتفظ بملابسك التي كنت تلبسها وانت طفل ابن سنتين ، بل وانت ابن سنة ، وانها جديدة ، وقد اخفيتها في صندوقي لاعطيها لابنك حسن يوم يولد ، وفيها ثوب من الحرير الاحمر ، كان ابوك اشتراه لك لما فطمتك ، فهو ما زال يلمع ، والله العظيم ، كأنه جديد ، وخيطناه هذا اليوم . فمتى يأتي حسن ، ويكبر ، واراه وهو يتعلم المشي لابسا هذا الثوب الاحمر ، متى .. ؟ واذهب الى قبري سعيدة بان ولد لابني احمد ، ولد يحمل اسم جده حسن ؟!

العريس :

الم يبلغك يا امي : انهم امسكوا اليوم بعشرين عاملا من المصنع الذي كنت اعمل فيه ، وانهم لو لم يكونوا قد طردوني من عملي هناك ، لكنت اليوم مع رفاقي العمال ، معتقلا في السجن ، مرة اخرى . الم يبلغك ذلك يا امي ؟! فمنهم ابن حارتنا صالح فتال الذي هو مثل اخي وبقينا عشر سنين نشتغل في مصنع واحد وجوقة واحدة وعلى نولين متجاورين . نعم انهم اعتقلوا هذا اليوم صالح فتال من المصنع الذي يشتغل فيه بالعرقوب . هو اليوم في السجن وفي بيته زوجة وولدان. وانت يا امي تعرفين زوجته بنت العبجي ، فكيف انك تذهبين اليها وتدعينها الى العرس ، بينما زوجها في السجن وقد ترك لها في البيت ولدين ؟ اه يا امي اه .. والاخر ، صديقي الاخر ، بماذا احدثك عنه : ذلك الولد الاشقر ذو الشوارب المبرومة ، الذي كان يحضر لزيارتي بعض ايام الجمع مع زملائي الاخرين . هل تتذكرين ؟ الذي كلما حضر وزارني، تنسين اسمه وتسألينني : ما هو اسم صاحبك الذي زارك اليوم ؟ فلما اسألك : ايهم ؟ تمزحين وانت ضاحكة وتقولين : ابو الشوارب . هل تتذكرين يا امي ؟ هل تذكرته ؟ الولد الاشقر الطويل الذي اسمه جميل نحاس ، وهو من محلة المشارقة .. اه ، نعم الان عرفته . اه يا امي ما دمت قد تذكرته فماذا اقول لك ؟ انا خرجت مساء الخميس فاخذوني الى السجن . لكنه خرج صباح السبت يا امي ، ولم يعد . خرج من بيته في المشارفة الى المعمل في العرقوب ، ومن العرقوب مع جمهور من العمال الى شارع التلل ، ومن هناك : لم يعد ، ولن يعود ابدا يا امي ، لن يعود لا الى البيت حيث تنتظره امه مثلما كنت تنتظرينني ، ولا الى المعمل ليشتغل بالنسيج على الماكينة . فكيف انني ادعوه الى حفلة زفافي ، كيف ؟ هل اذهب اليه في الجبانة ، وارجوه ان يخرج من القبر، ليحضرها ؟ وماذا يفعل بالعشر رصاصات التي اطلقوها عليه من الدبابة وكل رصاصة طولها شبر وثخنها بقدر ابهام اليد ، وجميعها استقرت في صدره ؟ اسمعي يا امي ، فانا لم اخرج مساء ذلك الخميس ، ليلة زفافي الى باب الفرج ، لاشرب مئة درهم من العرق ، لا والله العظيم. انما انا خرجت لاؤيدهم . لاؤيدهم . ولم اذق في ذلك المساء ، ولا نقطة

واحدة من العرق ، لا ، وحقك يا محمد يا رسول الله . انما كنت سعيداً بعد ان ذهبت وايدتهم فكأني كنت شربت من العرق الفاخر ، مقدار مدقتين واكثر . نعم ، انا ذهبت الى هناك وايدتهم . وقلت للذي استقبلنا وهو ينهض من وراء مكتبه : نحن معكم ، وكان يصحبني وفد من شباب رأيتهم هناك على الباب ولا اعرفهم ، لكنهم تركوني اتكلم باسمهم . نعم هكذا ، لما وجدوا انني مثلهم ، وادخلنا الجنود الى مبنى القيادة ، وصعدنا الدرج ، وقال عسكري كان يرافقنا : هذه غرفة العميد قائد الموقع ، فانا دخلت اول واحد ، ووقفت بمواجهته . يا الله ما كان اشجع قائد الموقع ، فهو لا يضطرب ابداً بل يبتسم . فلما نهض وصافحنا بقوة وقال : اهلا بكم يا شباب ، كم تحمسنا !! وكم احببنا ذلك القائد وهو يقول : نحن ضد الانفصال . ويبتسم ، ولا يخاف . فانني اخذت اتكلم ، وقلت له : نحن معكم ، ضد الانفصال . نقول لكم ذلك ، باسم... باسم الشعب كله . فهتف الذين كانوا معي ، وكل واحد يفلي الدم في عروقه : نعم ليس باسمنا فقط ، بل باسم الشعب كله ، فهكذا ذهبت انا يا امي الى قيادة الموقع وحدي ، ودخلت لعند القائد ومعي وفد عدده خمسون شابا . وتكلمت ، فاذا بي اتكلم باسم الشعب كله ! فهل فهمت يا امي ؟ انا لم اخرج مساء ذلك الخميس لاشرب العرق في الخمارة . لكن لما بلغني ان قائد الموقع الشريف رفض ان يؤيد الانفصال ، ذهبت انا من حارتنا الى قيادة الموقع وايدته . نعم ، ايدته باسم الشعب كله وقلت له : ارواحنا فدى الوحدة .

— . —

اه يا امي ، فانني لما خرجت من هناك ، من قيادة الموقع ، كنت قد نسيت كل شيء : العرس والعروس ، وانت وعمتي واخواتي ، وكل شيء . وصرت اطوف على زملائي في بيوتهم : ان غداً ، غداً موعدنا يا شباب ، عند باب قيادة الموقع ، منذ الصبح ، لنأخذ السلاح . هكذا قال لنا قائد الموقع : تعالوا غدا ونحن نوزع عليكم السلاح ، ونقاوم الانفصال حتى الموت . فلما اذن العشاء يا امي ، هل تعرفين اين كنت ؟ انني كنت قد وصلت الى بيته في المشارفة الى بيت ذلك الولد الطويل الاشقر ، الذي له شوارب مبرومة . نعم ، نعم ، جميل نحاس ، فهناك ، في بيته بالمشارفة ، اجتمعنا اكثر من مئة عامل من ابناء ذلك الحي ، وتعاهدنا أن ننزل جميعا منذ صباح الغد لحمل السلاح ومقاومة الانفصال . فعندما انتهى الاجتماع ، رافقني جميل نحاس حتى باب منزله ، ولا ادري لماذا انه فتح ذراعيه وعانقني على الباب ، وشعرت بالدموع تسيل على خديه وتندي خدي وانا اعانقه . سألته : لماذا تبكي يا جميل ؟ فابتسم . يا الله انه ابتسم! وقال لي : ابكي من الفرح لان مدينتنا رفضت تأييد الانفصال . فهل كان انه ايضا يودع في تلك الساعة، شبابه يا امي ؟ والدنيا والحياة والاصدقاء ؟ هل أن الله الهمه : انعانق يا جميل نحاس صديقك احمد بن حسن بطل مودعا ، لانك لن تراه بعد هذه الساعة ابدا . اه يا امي : جميل نحاس لم يتزوج بعد . وامه لم تخطب له بنتا . وهو حكى لي منذ أكثر من سنة : متى انهيت خدمة العلم اخطب واتزوج . جميل لم يذهب بعد الى خدمة العلم كما ذهبت انا وصالح قتال . والناس كانوا يظنون ان عمره ثلاث وعشرون سنة ، لانه طويل وله شوارب كبيرة ومبرومة ، لكن جميل نحاس لم يكن قد اخذ دفتر التجنيد ، لانه يا امي ، لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره بعد. قال لي ، لما سمع بانني خطبت عيوش وعزمت على الزواج : انا متى انهيت خدمة العلم ، اخطب واتزوج . وكان ولدا يجب ان تكون له شوارب كبيرة ومعقوفة الى الاعلى ، ويضحك كلما قلت له : امي تسميك ابو الشوارب.

— . —

عندما خرجت من بيت جميل نحاس ، كان ليلا جميلا ، ونجوم كثيرة تملأ السماء ، فقلت لنفسي : انها نجوم الوحدة ، تتألق عند عرش الله . انا يا امي احب الوحدة ، مثلما احبك ، مثلما احب اخواتي واولادهن ، مثلما احب عيوش ، مثلما احب رفاقي في المعمل واولاد حارتي وصالح قتال وجميل نحاس . فهل اذا اعتدى احد عليك او على اخواتي أو على عيوش ، اقف واتفرج ؟ ابدا . الوحدة يا امي عز ، كلها عز . اتذكرين كيف ان اليهود قبل الوحدة قتلوا في الجبهة واحدا من ابناء حارتنا كان يؤدي خدمة العلم هناك ؟ ابن المخللاتي ، نعم ياسين ، ابن المخللاتي . تذكرين كيف ذهبت ونظرت اليه ، يوم احضروه الى اهله وهو مذبوح من رقبته مثلما يذبح القصاب الغنمة ؟ وعدت وبكيت طويلا وصرت تقولين : الله ينتقم منكم يا يهود ، يا غدارين . فبعد الوحدة ، من تجرأ من اليهود وذبح واحدا من جنودنا في الجبهة ؟ ابدا : انهم صاروا يخافون منا كثيرا ، لاننا اصبحنا ثلاثين مليونا واكثر ، ونحاصرهم من الشمال والجنوب ، مثلما تحاصر المصيدة الفأر الذي يقع فيها. فكيف غدا لما نصير مئة مليون !! وتذكرين يا امي : كم معملا طردني منه اصحابه في العرقوب ، وكم مرة هددوني بالتسريح من اخر معمل كنت اشتغل فيه . كم قعدت عندك في البيت اياما طويلة بلا عمل ، وليس في جيبي ليرة واحدة اشتري بها الخبز لنأكل . كم بعنا من اغراضنا في البيت : مرة صوف الفراش ، ومرة الطناجر والصحون ، لنسدد الايجار ونشتري كيس طحين وعشر كيلوات برغل . نعم تذكرين ، ولا تنسين ذلك . كم اذلني اصحاب المعامل ، حتى كنت اضطر فاذهب اليهم واقبل ايديهم من اجل ان يعيدوني الى العمل ؟ كم اضطررت انت يا امي بالذات ، لتذهبي دون علمي ، وتقبلي اقدام صاحب احد المصانع على عتبة بيته ليعيدني الى العمل بعد ان طردني : فطردك برفسة من رجله وهو يصيح بك : ابنك مشاغب ، ولا اتركه يشتغل عندي ابدا . فبعد الوحدة يا امي ، من كان يجرؤ منهم ان يفعل معنا نحن العمال ، تلك الافعال؟ الوحدة عز للشعب يا امي ، فقد امنا لهم معاملهم ، وصارت ملكا للشعب كله. ولم يعد احد من اولئك الظالمين يستطيع ان يهددنا بالطرد من العمل . لم يعد العامل منا يخاف على أولاده من الجوع . عهد الذل ولى وانقضى يا امي ، فكيف نقبل ان نرجع اليه ؟ لا ، ابدا ، مستحيل. فانا لما خرجت من حارة المشارفة في ذلك المساء يا امي ، لم اذهب الى احدى الخمارات واشرب مئة درهم من العرق ، لا والله العظيم ، لكني كنت عائدا من هناك الى البيت ، فسمعت لما وصلت امام المتحف : ان ضابطا انفصاليا نزل من احدى الشكنات واحتل بعساكره قيادة الموقع والاذاعة واعلن انحلاب تؤيد الانفصال . نعم سمعت كل ذلك دفعة واحدة ، فاسودت الدنيا في

— التتمة على الصفحة ٦٩ —

صدر حديثا :

**مصر**

**مجتمع جديد يبنيه العسكريون**

تأليف انور عبد الملك

دار الطليعة — ص. ب ١٨١٣

بالدرجة الاولى شعورها الغريزي بالحرمان .. نداء جسدها النابع بالرغبة الى رجل في عالم ينظر كل رجاله اليها من خلال ستار من القداسة الوهمية . لذلك فانها ما تلبث ان تقع ثمرة ناضجة في يدي اول رجل ينظر اليها كأنثى ويجردها منعباءة القداسة الوثنية التي البسها اياها الجميع دون رغبتها ، تقع في يده رغم انها تعي جيدا انه من الدين الاخر ، وتدفن في صدره كل حرمانها المتقفي اقبية التقاليد والقداسة « اقتربت من فمه متحدية تراث شعب بكامله . تنجذب اليه بكل ما في اعماقها من لهفة للحياة . عالم من الفرح والالم والنشوة والحنان والاطمئنان . تنبع بصدق من دنيا مفمورة فيصدرها» (ص١٤٨) .. ومن خلال هذا الحب تعثر ناهدة على وجهها الحقيقي ، تملك ناصية قوتها ، تستطيع ان تتصرف ككائن منفصل له كينونته ، هذا الحب فقط هو الذي تمكن من ان يحقق لها رغبتها المتناعة « ارجوك ان تفهمي . حياتي لي . اريد ان احياها . اريد ان احياها انا » (ص١٢٥) .. لقد سئمت تماما ان يحيا الناس لها حياتها .. قد تكون هذه نكتة سخيفة ، ولكنها الواقع المرير الذي يمزق ناهدة والفتاة العربية في عالمنا العنكبوتي الفيم .. الجرانيتي التقاليد .. انناهدة تريد ان تعيش تجربة التحدي تلك ،ولكنها خائفة ،ربما لجدة التجربة ، وربما لاي شيء اخر ، ومن ثم فانها تطلب توكيدا من سهيل بمشروعية التجربة حتى يمضي فيها لاخرها . ومن هنا يبدو الحب في اطار عالمنا الجرانيتي التقاليد ، كطاقة سحرية تطل منها الفتاة على العالم..على وجودها .. وليس في هذه المسألة ادنى افتعال .. ذلك لان الحب يكتسب وجهه هذا ضمن الاطار المجتمعي العام الذي يعتبره شيئا شاذا ومحرما . ولذا تمنح الرواية هذه العلاقة عمقا وشمولا يمتدان بها الى كافة النشاطات المجتمعية الاخرى . ومن ثم تلتحم في النهاية بكل ما في واقع دير البحر من تناقضات ، فترسم لنا ببراعة كافة ملامح وجهها الحقيقي الدامي .

كل هذه الابعاد ترسم لنا بوضوح ملامح النكبة الفلسطينيةالمتميزة، وتموضعها داخل الاطار الحضاري للواقع العربي كله . من خلال تزاوج ازمات شخصيات الرواية . سهيل وفريد وناهدة وليليان ولمياء وعبد الجليل وخالد . لتشكل الوان اللوحة العامة للنكبة الفلسطينية الابعاد . تلك اللوحة التي يشكل التحدي مع الرغبة المتناعة لابناء الارض السليبة في ان يحققوا كينونتهم ، لونيها الرئيسيين .. « لم يعد من امل في انقاذ دير البحر . لم يعد من امل بايقاف جيش الاعداء الجرادي . رغم ذلك لن ينسحبوا . لا شيء سوى ان يثبتوا وجودهم » (ص٢٢٣) ..وقد افلحوا في ان يزيحوا عن وجه هذا الوجود كل قناعات الزيف وان يخرجوا من تحت ركام العبث والضياع المنصهرين في جوف المعركة ، صلبا وواضحا وكثيفا . وان يؤكدوا ان ساعة دير البحر المتوقفة عن المسير ستسير حتما ، ما دام ابناء دير البحر قد استطاعوا بحق ان يثبتوا وجودهم وجدارتهم في ان يحيوا في عالم تسير ساعته .

وفي النهاية احب ان اسجل لحليم بركات مهارته التكنيكية الفائقة التي اعلنت عن نفسها خلال البناء الروائي المحكم الذي استخدم فيه الكاتب بمهارة وحساسية نادرين كل الادوات الفنية التي استعملها من منولوج وحوار وتذكر واستعمال اكثر من ضمير – دفعة واحدة – في عملية القص الروائي . ولا استطيع مع كل ذلك الا ان اسجل دهشتي الشديدة لاكتشاف مثل هذه الرواية الناضجة شعرا وشفافية في ادبنا العربي .

★★★

من هذا الحديث عن الروايات التي صدرت عن فلسطين ، يمكننا ان نرى ان الروايات التي توفر لكاتبيها – كروايتي حليم بركات وغسان كنفاني – معرفة نوعية عميقة بابعاد النكبة الفلسطينية وقدرة موهوبة فنانة على معالجة الموضوع ، قد استطاعت ان تحمل لنا بجانب ابعاد النكبة الفلسطينية ، دلالات انسانية عامة خرجت بها من محدودية التجربة الفردية الى افاق اكثر شمولية ورحابة . واستطاعت ان تجسد من خلال معاقرة الكاتب الواعية لتجربته ، رؤيته لكافة قضايا الانسان العربي المعاصرة . فتمكنت رواية حليم بركات من ان تعري لنا ابعاد التخلف الحضاري الذي يعبق في سراديب مجتمعاتنا من خلال ذلك التناقض الواعي الذي قدمته بين فكرة بطلها عن الواقع ، وبين هذا الواقع ذاته . بينما لخصت رواية غسان كنفاني رؤية كاتبها لعبثية فكرة النجاة الفردية من اطار المأساة ، تلك الفكرة التي اغناها كامو فلسفيا خلال محاولة الصحفي رامبير بالهرب من مأساة البلدة – في روايته ( الطاعون ) ، وان كان غسان قد سيج فكرته هنا باطار قومي صرف ، ذهب بالتجربة الى كل مواقع المأساة في مجتمعنا ، واعطاها ، من خلال الطاقات الرمزية التي اثرى بها احداثه ، وجهها الشمولي الرحيب .

ومع كل هذا فاننا نسجل باسى ان الطرح الروائي للنكبة الفلسطينية ما زال نادرا .. وما زالت هناك جوانب عديدة للمأساة تستلزم المعالجة .

القاهرة — صبري حافظ

## ليلة الزفاف

– تتمة المنشور على الصفحة ٤ –

عيني وركضت نحو باب الفرج . كان عدد كبير من الناس مجتمعين هناك ويقولون لبعضهم البعض بغضب : حلب ايدت الانفصال . فصحت وانا اشعر كأن خنجرا يطعنني في صدري : باطل . ثم لا ادري كيف وجدت نفسي وانا اهتف : يسقط الانفصال . فردد معي الناس : يسقط يسقط يسقط ، فمشيت امامهم : عاشت الوحدة ، تعيش تعيش تعيش ، فمشيت امامهم : الموت للخونة ، ارواحنا فدى الوحدة . فركضت امامهم : الى الاذاعة يا شباب ، الى الاذاعة ، لنحتلها ولو قتلوا منا مئة ، ونعلن ان حلب تؤيد الوحدة . فسرعان ما وصل مئة شرطي بالسيارات ، ونزلوا امامنا . تشاجرت معهم ؟ نعم تشاجرت لكنني لم اكن سكرانا لا والله العظيم . ضربوني ، نعم وضربتهم ، فلماذا انهم ارادوا ان يفرقوا الشعب الذي يدافع عن الوحدة ؟ امسكوا بي ، نعم ، امسكوا بي واخذوني الى النظارة وظلوا يضربونني حتى الصباح ثم ارسلوني الى السجن ، نعم ، شهرا كاملا ، وهانذا خرجت ، لكن كيف يخرج جميل نحاس من القبر الذي دفنوه فيه يا امي ، كيف ؟ وتأتين بعد ذلك وتقولين لي : متى تتزوج يا احمد ؟ فكيف اتزوج كيف ؟ كيف اترك الطبال ابا علوان يدق طبله في حارتنا وترتفع في الليل انغام المزامير ، والدنيا كلها : حزن وذل وعار ؟ كيف البس القنباز الابيض والف عليه الشال العجمي ورفاقي يلفهم اهلهم بالاكفان كل يوم ويحملونهم الى الجبانة ؟ لا يا امي، مستحيل . انا لن اتركك تزغردين في الحارة . لن اترك احدا ينصب التخت في دار جارنا بشير ناعورة او يصف عشرة من الكراسي فيباحتها واحدا الى جانب الاخر . ابدا لن يدخل الفرح الى بيتنا في هذه الايام السوداء ، ابدا . فاذهبي ، قومي وتغطي بالملحفة ، واذهبي الى بيت العروس وقولي لامها وابيها ولكل من يسألك من اهل الحارة : ان احمد ابن حسن بطل ، لا يتزوج ابدا ، ولا يفرح ، الا بعد ان تعود الوحدة .

— • —

يومها تكون الفرحة الكبرى . وندق الطبول في كل بيت . ويرقص الشباب في كل شارع بالسيف والترس. وتزغرد النسوان من فوق كل سطح . فان كنت انا حيا يومها ، اقول لاولاد الحارة : قوموا ودقوا الطبل في بيتي يا شباب . وتدعين انت يا امي ، صديقاتك والجارات والاقارب لحفلة الزفاف . يومها تقيمون ، انتم ، هنا ، فرحتكم الصغرى، وتزغردين ما شئت ان تزغردي وتذهبين مع عمتي واخواتي لاحضار عيوش من بيت اهلها . والبس ، انا ، القنباز الابيض والف الشال العجمي ، واذهب الى الجبانة ، فاجلس عند قبر جميل نحاس واستأذنه يا جميل نحاس ، يا ولد ، يا اشقر ، انا اعلم انك اليوم فرحان كثيرا ، فهل تأذن لي ان اعود الىالبيت وافرح مع امي وعمتي واخواتي ، قليلا من الوقت ، هل تأذن لي يا جميل نحاس . ؟

اديب نحوي